

الجذور التاريخية لظاهرة الختان

الدكتور

خالد الجبالي

كلية التربية - جامعة جازان

تُعَدُّ هذه الدِّراسة من الموضوعات النَّادرة ، والتي ما زالت أرضاً بكرًا والتي تستحق الدراسة والتفتيش في أمهات المصادر الأولية ؛ حتى نقف على حقيقة الأسباب وراء ظاهرة الختان ؛ وموقف الإسلام من تلك الظاهرة ، وهل كانت قاصرة على المسلمين دون غيرهم ، فقد تبَيَّن من خلال النصوص التاريخية أنَّها جاءت في اليهود والنصارى ؛ كما أمر رسول الله بالختان . كما اتَّضح من خلال الدراسة أنَّ هذه الظاهرة لم تكن خاصة بالذكر بل إنَّ هناك إشارات تؤيِّد وجودها في الإناث ، وإنَّها لم تكن في عصر مُحدَّد بل ظهرت منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام .

أمَّا عن الصعوبات التي واجهت الدراسة فتتمثل بنُدرة النصوص التاريخية ، بالإضافة إلى عدم وجود دراسة مُتخصصة في هذا النوع من الدراسات التاريخية ، ومن هنا جاء اختياري لموضوع البحث ، لما له من أهمية في كشف الحقيقة وراء الختان ، فضلًا عن أمور عديدة دفعتني للكتابة تحت هذا العنوان ، وأولها الحاجة في الوقت الحاضر لمثل هذه الدراسات والأبحاث التي تتناول موضوعات مُهمَّة في التاريخ الإسلامي ؛ لكونها تُعد نادرة وعلى درجة عالية من الأهمية .

* المِخْتَانُ لُغَةً :

الختان : بكسر أوله اسم لفعل الخائن ، وهو قطع الجلدَة التي تُغَطِّي الحشفة من الذكر ، وقطع الجلدَة التي تكون في أعلى فرج المرأة فوق مدخل الذكر ؛ كالنَّوْاة أو كعرف الديك " (١) .

أما المُراد بالختانين ختان الرجل ، وخفاض المرأة ، وختان الرجل : هو مقطع جلدة كمرته ، وخفاض المرأة : هو مقطع جلدة في أعلى فرجها تشبه عرف الديك بينها وبين مدخل الذكر جلدة رقيقة ، وإنما ثنيا بلفظ واحد تغليبا ؛ وله نظائر . (٢)

والختان : هي الجلدَة التي تقطع فختان الرجل هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة ، وهو الذي تترتب الأحكام على تغييره في الفرج . وختان المرأة : قطع جلدة كعرف الديك فوق الفرج (٣) أو هي اللحمَة المتدلّية من

^١ أبي داود محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ، عون المعبود شرح سنن أبي داود دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤١٥ ج ١١ ، ص ١٦٨ مسلم : بين الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١ ، ص ٢٢١ المناوي ، عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ ج ٣ ، ص ٤٥٥ الشوكاتي ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، إدارة الطباعة المنيرية ، ج ١ ، ص ١٣٣

^٢ للمباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية - بيروت ج ١ ، ص ٣٠٥ : القزويني ، محمد بن يزيد أبو عبد الله ، سنن ابن ماجه تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر - بيروت ج ١ ، ص ١٩٩

^٣ المناوي ، عبد الرؤوف ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ، المكتبة التجارية الكبرى - مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ ج ٣ ، ص ٤٥٥

فرج المرأة التي قطع بالختان يقال لها البظر^(١) ، ويسمى الجوهري : المتكأ ؛ ما تبقى الخاتنة بعد الختان من المرأة والمتكأ التي لم تختن^(٢) .

وفي موضع آخر تسمى أيضاً العَبْشُ والعَمَشُ : الصَّلَاخُ في كل شيء ، يقال : الخِتَانُ عَبْشٌ للصبي ، ويقال : الخِتَانُ صَلَاخٌ للصبي فاعْبُشُوهُ واعْمُشُوهُ^(٣) ؛ أي : طَهِّرُوهُ وكلتا اللغتين صحيحة^(٤) .

ويقال للتي تقوم بعملية الختان الخافضة أو الخائطة ، ويقال خَفَضَ الجارية يَخْفِضُهَا خَفْضاً ، وهو كالخِتَانِ للغلام ، وأَخْفَضَتْ هي . وقيل : خَفَضَ الصبي خَفْضاً خَتَنَهُ ، فاستعمل الخفض في الرجل أيضاً والأعْرَفُ أن الخَفْضَ للمرأة ، والخِتَانُ للصبي ، فيقال للجارية : خَفِضَتْ ، وللغلام خُتِنَ ، وقد يقال للخاتن : خافض ؛ وليس بالكثير .

وقال النبي ﷺ : « إِذَا خَفَضْتَ فَأَشْمِي » ؛ أي : إِذَا خَتَنْتِ الجارية فلا تَسْحَتِي الجارية ، والأصح أن الخَفْضُ خِتَانُ الجارية^(٥) .

وفي موضع آخر يُقال لها : العُذْرَةُ الخِتَانُ ، والعُذْرَةُ : الجلدة يقطعها الخاتن ، وعَذَرَ الغلام والجارية يَعْذِرُهُمَا عَذْراً ، وأَعْذَرَهُمَا خَتَنَهُمَا .

قال الشاعر:

فِي فَتْيَةٍ جَعَلُوا الصَّلِيبَ إِلَهُهُمْ حَاشَايَ إِنِّي مُسْلِمٌ مَعْنُورٌ

^١ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٣، ص ٢٢١

^٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٨، ص ٣٥٩

^٣ الفيروز آبادي، القاموس المحيط محمد بن يعقوب ج ١، ص ٧٧٠

^٤ ابن منظور لسان العرب محمد بن مكرم الأفرريقي المصري دار صادر - بيروت الطبعة

الأولى، ج ٦، ص ٣٢٠

^٥ ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٤٥

وفي الحديث « كُنَّا إِعْذَارَ عَامٍ وَاحِدٍ » ؛ أي : خُبْتَنَا فِي عَامٍ وَاحِدٍ ، وَكَانُوا يُخْتَنُونَ لِسِينَ مَعْلُومَةٍ فِيمَا بَيْنَ عَشْرِ سَنِينَ وَخَمْسِ عَشْرَةٍ ، وَفِي الْحَدِيثِ وَلَدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعْنُورًا مَسْرُورًا ؛ أَي : مَخْتُونًا مَقْطُوعَ السُّرَّةِ وَأَعْذَرُوا لِلْقَوْمِ عَمِلُوا ذَلِكَ الطَّعَامَ لَهُمْ وَأَعَدَّوْهُ يَدْعُو إِلَيْهِ إِخْوَانُهُ .

وقال اللحياني : العُذْرَةُ قُلْفَةُ الصَّبِيِّ ، وَلَمْ يَقُلْ إِنَّ لَهَا اسْمًا قَبْلَ الْقَطْعِ أَوْ بَعْدَهُ ، وَالْعُذْرَةُ : الْبَكَارَةُ .

قال ابن الأثير : الْعُذْرَةُ مَا لِلْبِكْرِ مِنَ الْإِلْتِحَامِ قَبْلَ الْإِفْتِضَاضِ ، وَجَارِيَةٌ عَذْرَاءٌ بَكَرٌ لَمْ يَمْسُهَا رَجُلٌ . قال ابن الأعرابي : وَحْدَهُ سُمِّيَتْ الْبِكْرُ عَذْرَاءٌ ؛ لِضَيْقِهَا مِنْ قَوْلِكَ تَعَذَّرَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ ، وَجَمَعَهَا : عَذَارٍ وَعَذَارَى وَعَذْرَاوَاتٍ وَعَذَارِي .

وعُذْرَةُ الْجَارِيَةِ إِفْتِضَاضُهَا ، وَالْإِعْذَارُ : الْإِفْتِضَاضُ . وَيُقَالُ : فَلَانُ أَبُو عَذْرٍ فَلَانَةٍ ؛ إِذَا كَانَ افْتَرَعَهَا وَاقْتَضَى ، وَأَبُو عَذْرَتِهَا ، وَقَوْلُهُمْ « مَا أَنْتَ بِذِي عَذْرٍ هَذَا الْكَلَامُ » ؛ أَي : لَسْتُ بِأَوَّلٍ مِنْ اقْتَضَيْتُهُ .

وقال الأزهرى عن اللحياني للجارية : عَذْرَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَخْفُضُهَا ، وَهُوَ مَوْضِعُ الْخَفْضِ مِنَ الْجَارِيَةِ ، وَالْعُذْرَةُ الثَّانِيَةُ قَضَتْهَا سَمِيَتْ عُذْرَةً بِالْعَذْرِ ، وَهُوَ الْقَطْعُ ؛ لِأَنَّهَا إِذَا خَفِضَتْ قَطَعْتَ نَوَاتِهَا ، وَإِذَا افْتَرَعْتَ انْقَطَعَ خَاتَمُ عَذْرَتِهَا وَالْعَانُورُ مَا يَقْطَعُ مِنْ مَخْفُضِ الْجَارِيَةِ ^(١)

وقال رسول الله ﷺ : « أَرْبَعٌ مِنْ سَنَنِ الْمُرْسَلِينَ : التَّعَطُّرُ ، وَالنِّكَاحُ ، وَالسَّوَاكُ ، وَالْخِتَانُ » ^(٢) ثُمَّ زَادَ قَائِلًا ﷺ : « الْخِتَانُ : قَطْعُ قُلْفَةِ الذَّكَرِ ،

(١) ابن منظور، لسان العرب ج ٤، ص ٥٤٥

(٢) الدر المنثور، ج ٤، ص ٦٥٩

وهي الجلدة التي تكون على أعلى الذكر عند الولادة ^(١) ، أمّا في الانثى بظر اللات بفتح أوله وإسكان ثانيه ما يقطع من فرج المرأة عند الختان » .

ومنه قول حمزة : يا بن مقطعة البظور ^(٢) ، والمقصود : الهنة التي تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان . ^(٣) والهدف من الختان التحرز من احتباس البول في القلفة فتفسد الطهارة والصلاة ^(٤) . بالإضافة إلى أنها تكون سببا في كثير من الأمراض التي أكدها الطب الحديث. وبالنسبة للمرأة فقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأنه أحصن للزوجة وانظر للزوج .

* الختان قبل مجيء الإسلام .

روى عن أبي يعلى قال : أمر إبراهيم بالختان فاختنن بقدوم ، فاشتدّ عليه ، فأوحى الله إليه أن عجلت قبل أن نأمرك بآلته ، فقال : يا رب كرهت أن أؤخر أمرك . ^(٥) وسيأتي بيان الآلة في موضعه .

وقال الجوهري : صبغة الله دينه ، وقيل : إنّ الصبغة الختان ، اختنن إبراهيم فجرت الصبغة على الختان ؛ لصبغهم الغلمان في الماء ، قاله الفراء .
{ صِبْغَةُ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ } ^{(٦)(٧)}

^١ الجامع الصحيح المختصر، ج ٥، ص ٢٢٠٩

^٢ العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي فتح الباري شرح صحيح البخاري تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي دار

المعرفة - بيروت ، ١٣٧٩ ج ١، ص ٨٨

^٣ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج ١٠، ص ٧٥٥

^٤ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ١٦٧

^٥ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ٦، ص ٣٩٠

^٦ سورة البقرة ، آية ١٣٨

^٧ الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ١٤٠

ويذكر أن إبراهيم عليه السلام أول من قص الشارب وأول من اختتن ، وأول من قلم الأظافر ، وأول من رأى الشيب ، فلما رآه قال : يا رب ما هذا ؟ قال : سمة الوقار ، قال : (يا رب زدني وقاراً) . قال مجاهد : هي الآيات التي بعدها في قوله عليه السلام : { إني جاعلك للناس إماماً } ^(١) ، وقال الحسن : ابتلاه الله بسبعة أشياء : بالكواكب والقمر والشمس فأحسن فيها النظر وعلم أن ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها وبالهجرة وبنجح ابنه وبالختان فصبر عليها. ^(٢)

وقد روى أبو إسحاق عن حارثة بن مضرب عن علي أن سارة لما وهبت هاجر لإبراهيم فأصابها غارت سارة ، فحلفت ليغيرن منها ثلاثة أشياء ، فخشي إبراهيم أن تقطع أذنيها أو تجزع أنفها ، فأمرها أن تخفضها وتنقب أذنيها ، وروي عن أم عطية أنها كانت تخفض نساء الأنصار ، وروي حجاج بن أرطاة عن ابن أبي المليح عن أبيه عن شداد بن أوس أن رسول الله ﷺ قال : « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » ، واحتج من جعل الختان سنة بحديث أبي المليح هذا ^(٣)

ومما يذكر بهذا الصدد عن هرقل عظيم الروم حين قدم ايليا أصبح يوماً خبيث النفس ، فقال له بعض بطارفته لقد أنكرنا هيتك ، فقال ابن الناطور : وكان هرقل رجلاً حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختن من هذه الأمة ، فقالوا : ليس يختن غير اليهود ، فلا يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك

^١ سورة البقرة ، آية ١٢٤

^٢ البغوي ، حسين بن مسعود الفراء أبو محمد معالم التنزيل ، ج ١ ، ص ١٤٤

^٣ ابن عبد البر ، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب ، ١٣٨٧

تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري ج ٢١ ، ص ٥٩

فليقتلوا مَنْ فيهم من اليهود ، فبينما هم على أمرهم ذلك أتى هرقل رجلًا أرسل إليه غسان يخبره عن خبر رسول الله ﷺ ، فلمَّا استخبره هرقل ، قال : اذهبوا فانظروا أمختن هو أم لا .

فانظروا إليه فحدثوه أنه مُختن فسأله عن العرب : أيختنون ؟ فقال له : هم يختنون . فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر ، وكتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم ، وسار هرقل إلى حمص ، فلم يرم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق هرقل على خروج رسول الله ﷺ ، وأنه نبي فأنز هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم أطلع فقال : بينهم يا معشر الروم ؛ هل لكم في الفلاح والرشد ، وأن يثبت ^(١) ملككم فتبايعوا هذا النبي ، فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب ، فوجدوها قد غلقت ، فلمَّا رأى هرقل نفرتهم وآيس من إيمانهم ، قال : ردوهم علي ، وقال : إنِّي قلت مقالتي أنفا أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيتم فسجدوا له ورضوا عنه فكان هذا آخر شأن هرقل ^(٢) .

^١ بن منده محمد بن إسحاق بن يحيى ، الإيمان مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦ تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ج ١ ، ص ٢٩١

^٢ القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله ، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام دار التراث العربي - القاهرة ، ١٣٩٨ تحقيق : د. أحمد حجازي السقا ج ١ ، ص ٣١٧ ابن عساكر ، الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها ، دراسة وتحقيق علي شيري

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ج ٢ ، ص ٩٣ . الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، مسند الشاميين مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ٤ ، ص ٢١٩ الطبراني ،

وقد أجمعت المصادر على أن هذا اليوم هو اليوم الذي بعث به النبي ﷺ برسالة إلى هرقل يدعو به إلى الإسلام . فقال : أما بعد : فإنني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم ، أسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإن عليك إثم الإريسين^(١)

" يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا"^(٢) ، قال أبو سفيان : فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات ، وفي رواية (ملك) ؛ أي : ظهر سلطان الذين يختنون ، والختان : قطع قلفة الذكر ، وكان الروم لا

سليمان بن أحمد أبو القاسم ، الأحاديث الطوال مطبعة الأمة - بغداد الطبعة الثانية ،

١٤٠٤ - ١٩٨٣ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ١ ، ص ٢٣٣

الإريسين: بكسر الهمزة وتشديد الراء وبياء واحدة بعد السين وقد اختلفوا في المراد بهم على أقوال أصحها وأشهرها أنهم الأكارون أي الفلاحون والزراعون ومعناه إن عليك إثم رعاياك الذين يتبعونك وينقادون باتقيادك ونبه بهؤلاء على جميع الرعايا لأنهم الأغلب ولأنهم أسرع اتقيادا فإذا أسلم أسلموا وإذا امتنع امتنعوا وهذا القول هو الصحيح الثاني أنهم اليهود والنصارى وهم أتباع عبدالله بن أريس الذي تنسب إليه الأروسية من النصارى ولهم مقالة في كتب المقالات ويقال لهم الأروسيون الثالث أنهم الملوك الذين يقودون الناس إلى المذاهب الفاسدة ويأمرونهم بها فعليك إثم الإريسين الذين هم داخلون في طاعتك ويجيبونك إذا دعوتهم ثم لم تدعهم إلى الإسلام ولو دعوتهم لأجابوك فعليك إثمهم لأنك سبب منعهم الإسلام ولو أمرتهم بالإسلام لأسلموا والإريسين الذين كانوا يحرقون أرضهم كانوا مجوسا والروم أهل كتاب يريد إن عليك مثل وزر المجوس إن لم تؤمن ولم تصنق. انظر تفصيلات ذلك. مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ٣ ، ص ١٣٩٣ ابن منظور ، لسان العرب ، ج ٦ ، ص ٤ الزبيدي ، تاج العروس ، ج ١ ، ص ٣٨٣٦ النهاية في غريب الاثر ، ج ١ ، ص ٧٩ غريب الحديث للخطابي ، ج ١ ، ص ٥٠٠

^٢ سورة آل عمران ، آية ٦٤ .

- يختنون (برومية) مدينة معروفة للروم ، وهي مقر خلافة النصارى ورئاستهم .^(١)

ثم زاد قائلاً : حدثتنا عجوز من أهل الكوفة جدة علي بن غراب قالت : حدثتني أم المهاجر قالت سبيت في جواري من الروم ، فعرض علينا عثمان الإسلام ، فلم يسلم منا غيري وغير أخرى ، فقال عثمان : اذهبوا فاخفوهما وطهروهما .^(٢)

* الفتان عند اليهود والنصارى :

جاء في كتب اليهود : أنهم قالوا في تأويل حكم الختان قولاً أتوا فيه على التوراة بالباطل والبهتان ، قالوا : إنما عنى بالختان نقاوة القلوب وصفاء النية وذهاب الغلوفة ؛ يقول الكتاب عن اليهود : إن رقابهم قاسية وقلوبهم غلف ، ولذلك علمنا أن الله استغفر غلوفة القلب ، وليس غلوفة اللحم ، فما على الإنسان أن يختن لحمه ، إذ لا منفعة له في ذلك ، فمن شاء اختتن ، ومن شاء ترك والأحسن أن تترك الأجساد تامة غير ناقصة كما بها خلقنا الله ﷻ هذا نص كلامهم في كتبهم ، فانظر أيها العاقل إن كنت منصفاً ما الذي ارتكبه من العظائم ؛ ونسبوه إلى الله ورسله من الشائم .

فأولها : أنهم كذبوا على الله ؛ حيث قالوا : إنما أراد الله بهذه الحكم إزالة غلوفية القلوب ، ولو كان ذلك حقاً لبيّنه موسى للناس ، وما جاءهم بالختان ، وما فعله ، وما فعل بيحيى وعيسى وسائر الأنبياء الذين حكموا بالتوراة ، ولم

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر دار ابن كثير ، اليمامة - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ١٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى

ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق ج ١، ص ٧

^٢ الأدب المفرد، ج ١، ص ٤٢٦

يزالوا يختتنون ، ويأمرون بالختان إلى زمان المسيح ، ثم إنَّ المسيح لم ينه عنه ولا أمر بتركه ، فهذا على الله ورسله كذب صراح ^(١) .

وينكر صاحب كتاب روح المعاني أنَّ النصارى كانوا يصبغون أولادهم بماء أصفر يسمونه المعمودية ؛ يزعمون أنَّه الماء الذي ولد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام ، ويعتقدون أنَّه تطهير للمولود ؛ كالختان لغيرهم . وقيل : هو ماء يقنس بما يتلى من الإنجيل ثم تغسل به الحاملات ، ويرد على هذا الوجه أنَّ الكلام عام لليهود ؛ غير مُختصَّ بالنصارى . ^(٢)

ونزل قوله تعالى : (ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون) ^(٣) ، وسبب نزولها أنَّ النصارى كانوا إذا ولد لأحدهم ولد فأتى عليه سبعة أيام صبغوه في ماء لهم يقال : له المعمودية ليظهروه بذلك ، ويقولون هذا ظهور مكان الختان ، فإذا فعلوا ذلك قالوا صار نصرانيًا حقًا ، فنزلت هذه الآية فقال ابن قتيبة : المراد بصبغة الله الختان ، فسماه صبغة ؛ لأنَّ النصارى كانوا يصبغون أولادهم في ماء ويقولون : هذا طهرة لهم ؛ كالختان للحنفاء ، فقال الله تعالى صبغة الله ؛ أي : الزموا صبغة الله لا صبغة النصارى ، وأراد بها ملة إبراهيم . وقال غيره : إنما سُمِّي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان كظهور الصبغ على الثوب ^(٤) .

^١ الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن

الإسلام، ج ١، ص ٤٢٠

^٢ روح المعاني، ج ١، ص ٣٩٧

^٣ سورة البقرة آية ١٣٨

^٤ الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد ، زاد المسير في علم التفسير المكتب

الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ ج ١، ص ١٥١

وقيل : سنة الله . وقيل : أراد به الختان ؛ لأنه يصبغ صاحبه بالدم . فإذا فعلوا به ذلك قالوا : الآن صار نصرانيًا حقًا ، فأخبر الله أن دينه الإسلام لا ما يفعله النصارى^(١) .

وحين بدأ بولس الدعوة إلى المسيحية وفق مفهومه الخاص لمدة ثلاث سنوات قبل أن يتعرف بتلاميذ المسيح الذين أسسوا الكنيسة الأم في أورشليم ؛ والذين كانوا المرجع في كل ما يتعلق بالمسيحية والدعوة إليها .^(٢) لقد أراد بولس أن يخرج بالرسالة من اليهودية إلى الأمم ، علمًا بأن المسيح لم يأمر بهذا ؛ لأن الرسالة كانت محدودة في بني إسرائيل . ولما كانت الأمم غير مختتنة ، فإنه لجأ إلى أول مجمع هاجم فيه الختان ، وقال : إنَّ الختان ختان القلب ، كمن يقول للمسلم : إنَّك تستطيع دخول الصلاة بلا وضوء . فهذا إفساد للصلاة ؛ إذ قد هدم الأساس التي يجب السير عليها لإقامة الصلاة . كان حكم الختان أبدئيًا في شريعة إبراهيم عليه السلام ، " وقال الله لإبراهيم . وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم .

ونجد أن إبراهيم حين ختن كان عمره ١٠٠ سنة تقريبًا ، وكان ابنه البكر إسماعيل عمره ١٤ سنة ، فهذا إبراهيم بقدره الجليل وابن إسماعيل وبقيّة الخدم والعبيد اختتنوا جميعًا . فكيف يأتي بولس بعد هذا ليبطل الختان؟^(٣)

وقد بقي هذا الحكم في أولاد إسماعيل وأولاد إسحاق عليهما السلام . وختن عيسى عليه السلام نفسه ، كما جاء في أسفار (العهد الجديد) . ولما

^١ معالم التنزيل، ج ١، ص ١٥٧

^٢ مناظرة بين الإسلام والنصرانية الطبعة : الأولى الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تاريخ النشر : ١٤٠٧ هـ - ج ١، ص ٢٠١

^٣ مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ج ١، ص ٢١٣

تمت ثمانية أيام ليختتوا الصبي سمي يسوع كما تسمى من الملاك قبل أن حبل به في البطن .

وظل هذا الحكم ساريًا إلى أن جاء بولس فنس^(١) "ها أنا بولس أقول لكم . إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا لكن أشهد أيضًا لكل إنسان مختتن أنه ملتزم أن يعمل بكل الناموس قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس . سقطتم من النعمة . فإنا بالروح من الإيمان نتوقع رجاء بر ؛ لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة"^(٢).

وهكذا سلخ بولس رسالة المسيح من أصلاتها المؤسسة على التوراة والمتمة لها كما قال السيد المسيح : " ما جئت لأنقض بل لأكمل " .

"وزعم بعض أطباء النصارى وهم أعداء اليهود ، أن اليهود يختنون أولادهم في اليوم الثامن ، وأنهم لم يروا قط يهوديًا أصابه مكروه من قبل الختان ، وأنهم قد رأوا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يحصى ممن لقي المكروه في ختانه . وفي عبادة النصارى إلى هذا الحين صلاة معينة يؤدونها في يوم ختان عيسى تذكرة لهذا اليوم ، وبقي حكم الختان في عهده عليه السلام ولم ينسخه ، ولكن بولس شدد تشديدًا بليغًا في نسخ هذا الحكم كما يظهر من رسالته إلى أهل رومية ، ها أنا بولس أقول لكم إنه إن اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئًا" ؛ لأنه في المسيح يسوع لا الختان ينفع شيئًا ولا الغرلة).

^١ مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ج ٢، ص ٧٢

^٢ مناظرة بين الإسلام والنصرانية، ج ٢، ص ٧٣

والنصارى تركوا هذا الحكم الذي هو حكم أبدي ، ولم ينقضه عيسى عليه السلام ،
وصدقوا أن بولس نسخه لهم . أمّا في التوراة فإن حكم الختان في شريعة
إبراهيم عليه السلام حكماً أبدياً.^(١)

وبقي هذا الحكم مستمراً في أولاد إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، وبقي
كذلك في شريعة موسى عليه السلام ، ففي سفر الأحبار بخصوص المولود
الذكر : (وفي اليوم الثامن يختن لحم غرلته) . وقد ختن عيسى عليه السلام ،
ففي إنجيل لوقا (ولما تمت ثمانية أيام ليختنوا الصبي سمي يسوع) (٢) :
وفي نهاية المطاف نقول : إن الختان منذ القدم في العرب من النساء
والرجال من لئن إبراهيم وهاجر إلى يومنا هذا.

* الختان في الإسلام :

جاء ذكر الختان صريحاً في الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد على أهميته
وفي الآية التالية إشارة إلى الختان وأمور أخرى كلها من سنن الفطرة والآية
هي "إذ ابتلى إبراهيم ربه...." (٣) ؛ أي : اختبره : عامله معاملة المختبر
(بكلمات) هي عشر خصال : خمس في الرأس ؛ وهي : الفرق والمضمضة
، والاستنشاق ، والسواك ، وقص الشارب ، وخمس في الجسد وهي : تقليم
الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، والاستتباء ، وتنف الرفغنين ، { فأتهمن
{ أداهن تامات غير ناقصات { قال { الله تعالى : { إنني جاعلك للناس
إماماً (٤) (١) أما رواية صاحب كتاب الدر المنثور فيها شيء من الاختلاف وإن

١ مناصرة بين الإسلام والنصرانية، ج ٢، ص ٧٣-٧٤

٢ : مختصر إظهار الحق ج ١، ص ١٦٨

٣ سورة البقرة آية ١٢٤ .

٤ سورة البقرة آية ١٢٤ .

ابتلى إبراهيم ربه بكلمات قال : ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ؛ في الرأس : قص الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق الرأس . وفي الجسد : تغليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل مكان الغائط والبول بالماء . (٢)

ويجب الختان لأنه من ملة إبراهيم ، فإنه روي أن إبراهيم عليه السلام ختن نفسه ، متفق عليه ، وقد قال الله تعالى : { ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم } (٣) ؛ ولأنه يجوز كشف العورة من أجله ، وجاز النظر إليها لفعل مندوب ، فإن كان كبيراً وخاف على نفسه من الختان سقط وجوبه . (٤)

أمّا رواية عائشة عن النبي ﷺ أنه قال : « إذا جلس بين شعبها الأربع (٥) ومسّ الختان ، فقد وجب الغسل » .

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إذا قعد بين شعبها الأربع ثم جهدها فقد وجب الغسل » . (٦)

(١) الواحدي ، علي بن أحمد أبو الحسن ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ١ ، ص ١٣٠ ، السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣ ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٢) السيوطي ، الدر المنثور ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٣) سورة النحل ، آية ١٢٣ .

(٤) ابن قدامة ، عبد الله المقدسي أبو محمد ، الكافي في فقه الإمام المجل أحمد بن حنبل ج ١ ، ص ٥٢ .

(٥) الشعب : النواحي والمراد البدان والرجلان وقيل : الرجلان الفخذان وقيل : الرجلان والشفران وقيل شعب الفرج الأربع .

(٦) الجامع لأحكام القرآن ، ج ٥ ، ص ١٩٢ ، دار قطني ، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي ، العلل الواردة في الأحاديث النبوية دار طيبة - الرياض الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي ج ٨ ، ص ٢٥٢ ، أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي ، سنن أبي داود دار الفكر تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١ ، ص ١٠٥ ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ج ١ ، ص ٢٣٥ .

وعنه ﷺ قال : « الختان سنة للرجال ، مكرمة للنساء » . (١) ، وعن علي رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يقضي الحاجة ، ويأكل معنا اللحم ، ويقرأ القرآن ، وكان لا يحجبه أو لا يحجزه عن قراءة القرآن شيء إلا الجنابة .

وغسل الجنابة يجب بأحد الأمرين : إمّا بنزول المنى أو بالتقاء الختانين ؛ وإن لم ينزل ، وكان الحكم في الابتداء أن من جامع امرأته فأكسل لا يجب عليه الغسل ثم صار منسوخاً . (٢)

حكم الختان

اختلف في أن الختان واجب أو سنة ، قال الحافظ في الفتح : قد ذهب إلى وجوب الختان الشافعي وجمهور أصحابه ، وقال به من القنماء عطاء ، حتى قال : لو أسلم الكبير لم يتم إسلامه حتى يختتن (٣) . بل ذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فجعله فرضاً ، واحتج بأن إبراهيم اختتن ، وأن الله ﷻ أمر نبيه ﷺ أن يتبع ملة إبراهيم . (٤)

(١) ابن حنبل ، أحمد أبو عبد الله الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة - القاهرة ج ٥ ، ص ٧٥ ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج ٢٢ ، ص ١٥٦ الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، المعجم الكبير مكتبة العلوم والحكم - الموصل الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ٧ ، ص ٢٧٤

(١) القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله ، الجامع لأحكام القرآن ج ٢ ، ص ٩٣

٢ معالم التنزيل ، ج ١ ، ص ٢١٩

(٣) تحفة الأحوذى ج ٨ ، ص ٢٩

(٤) الاستذكار ، ج ٨ ، ص ٣٣٦

فقال النبي ﷺ : خمسة في الرأس وخمسة في الجسد ، فأما اللواتي في الرأس : فالممضضة ، والاستشاق ، وقص الشارب ، والفرق ، والسواك .
وأما اللواتي في الجسد : فالاستجاء وتقليم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان^(١) . وقال ﷺ أيضا : « الفطرة خمس الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الأظفار ونتف الأباط »^(٢)

كما ذكر أن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « تحشرون حفاة بلا خف ولا نعل ، عراة بلا ثياب تستر أجسامكم » . (غرلا) جمع أغرل ؛ وهو الذي لم تقطع منه قلفة الذكر ، وهي الجلدة التي تقطع عند الختان ، ومثلها كل عضو قطع من الإنسان ، فإنه يرجع على حاله . قالت عائشة : فقلت : يا رسول الله ؛ الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : « الأمر أشد من أن يهتمم ذاك »^(٣) .

كما ساق لنا ابن سعد في طبقاته رواية مفادها أن الخليفة عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) كتب إلى عامله على خراسان الجراح بن عبد الله الحكمي يأمره أن يدعو أهل الجزية إلى الإسلام ، فإن أسلموا قبل إسلامهم ووضع الجزية عنهم ، وكان لهم ما للمسلمين ، وعليهم ما على المسلمين . فقال له رجل من أشراف أهل خراسان : إنه والله ما يدعوهم إلى الإسلام إلا أن توضع عنهم الجزية ، فامتحنهم بالختان ، فقال : أنا أردهم عن الإسلام

(١) الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، الملل والنحل دار المعرفة -

بيروت ، ١٤٠٤ تحقيق : محمد سيد كيلاني ج ٢ ، ص ٢٤٤

(٢) الجامع الصحيح المختصر ، ج ٥ ، ص ٢٢٠٩ المتقي ، علي بن حسام الدين الهندي ، كنز

العمال في سنن الأقوال والأفعال مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م ج ٦ ، ص ٩٦٨

(٣) الجامع الصحيح المختصر ، ج ٥ ، ص ٢٣٩١

بالختان، هم لو قد أسلموا فحسن إسلامهم كانوا إلى الطهارة أسرع ، فأسلم على يده نحو من أربعة آلاف (١) .

* وقت الختان :

اختلف في وقت الختان ، فذهب جمهور من العلماء إلى القول أن مدة الختان لا تختص بوقت معين ، وليس بواجب في حالة الصغر ، واستدل لهم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعد ما أتت عليه ثمانون سنة ، واختتن بالقنوم ، فاشتد عليه الوجع ، فدعا ربه فأوحى الله إليه : إنك عجلت قبل أن نأمرك بالآلة ، قال : يا رب كرهت أن أؤخر أمرك . قال وختن إسماعيل وهو ابن ثلاث عشرة سنة ، وختن إسحاق وهو ابن سبعة أيام » . وفي رواية عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « إبراهيم أول من اختتن ، وهو ابن مائة وعشرين سنة ؛ اختتن بالقنوم ، ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة » . (٢)

ورواية أخرى مفادها أنه ختن ابن ثمانين وعاش بعدها أربعين والغرض أن الاستدلال بذلك متوقف كما تقدم على أنه كان في حق إبراهيم عليه السلام واجباً ، فإن ثبت ذلك استقام الاستدلال به.

(١) ابن سعد ، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري ، الطبقات الكبرى دار صادر - بيروت ج ٥ ، ص ٣٨٦

(٢) الألويسي ، محمود أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١ ، ص ٣٧٥ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١ ، ص ١٥٥ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الألب المفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ج ١ ، ص ٤٢٦ الجامع الصحيح المختصر، ج ٥ ، ص ٢٣٢٠

واختلف في الوقت الذي يشرع فيه الختان ، قال الماوردي : له وقتان ، وقت وجوب ، ووقت استحباب ، فوقت الوجوب البلوغ ووقت الاستحباب قبله والاختيار في اليوم السابع من بعد الولادة . وقيل : من يوم الولادة ، فإن أخر ففي الأربعين يوماً ، فإن أخر ففي السنة السابعة ، فإن بلغ وكان نضواً نحيفاً يعلم من حاله أنه إذا اختتن تلف سقط الوجوب ، ويستحب أن لا يؤخر عن وقت الاستحباب إلا لعذر .

ونكر القاضي حسين ؛ أنه لا يجوز أن يختن الصبي حتى يصير ابن عشر سنين ؛ لأنه حينئذ يوم ضربه على ترك الصلاة وألم الختان فوق ألم الضرب.

وعن أحمد : لم أسمع فيه شيئاً ، وأخرج الطبراني في الأوسط عن بن عباس قال: سبع من السنة في الصبي يسمى في السابع ويختن الحديث . وعن جابر أن النبي ﷺ ختن حسناً وحسيناً لسبعة أيام ، قال الوليد : فسألت مالكا عنه فقال : لا أدري ؛ ولكن الختان طهرة ، فكلماً قدمها كان أحب إلي...

وأخرج البيهقي حديث جابر وأيضاً من طريق موسى بن علي عن أبيه أن إبراهيم عليه السلام ختن إسحاق وهو بن سبعة أيام .^(١)

وعن جماعة من العلماء أنهم قالوا ختن إبراهيم (ابنه) إسماعيل لثلاث عشرة سنة ، وختن ابنه إسحاق لسبعة أيام ، وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تختن ولدها يوم السابع .

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٣٤٢-٣٤٣ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي الأنب المفرد، دار البشائر الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ج ١، ص ٤٢٦ الجامع الصحيح المختصر، ج ٥، ص ٢٣٢٠

وقال الليث بن سعد : يختن الصبي ما بين سبع سنين إلى عشر ، وقال ابن حنبل : لم أسمع في ذلك شيئاً . وقال الميموني : قلت لأبي عبد الله — يعني أحمد بن حنبل — مسألة سئلت عنها ختان ختن صبي فلم يستقص ؟ قال : إذا كان الختان جاوز نصف الحشفة إلى فوق فلا يعيد ؛ لأن الحشفة تغلظ ، وكلما غلظت ارتفع الختان فأما إذا كان الختان دون النصف ، فكنت أرى أن يعيد قلت فإن الإعادة شديدة جدا ، وقد يخاف عليه من الإعادة ، فقال : لا أدري ثم قال لي أحمد : إن ههنا رجلا ولد له ابن مختون فاغتم لذلك غمًا شديدًا .

فقلت له : إذا كان الله قد كفاك (هذه) المؤونة ؛ فما غمك بهذا ؟ قال أبو عمر : في هذا الباب حديث مسند غريب عن ابن عباس ؛ أن عبد المطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه ، وجعل له مأدبة ، وسمّاه محمدًا .

قال يحيى بن أيوب : طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبي السري .

وكره جماعة من العلماء الختان يوم السابع ، فروي عن الحسن ؛ أنه قال : أكرهه خلافاً على اليهود . وقال ابن وهب : قلت لمالك : أترى أن يختن الصبي يوم السابع ؟ فقال : لا أرى ذلك ؛ إنما ذلك من عمل اليهود ، ولم يكن هذا من عمل الناس إلا حديثاً . قلت لمالك : فما حد ختانه ؟ قال : إذا أدب على الصلاة . قلت له : عشر سنين أو أدنى من ذلك ؟ قال : نعم . وقال : الختان من الفطرة .

وقال ابن القاسم : قال مالك : من الفطرة ختان الرجال والنساء ، قال مالك وأحب للنساء من قص الأظفار وحلق العانة ؛ مثل ما هو على الرجال . وقد سئل سفيان الثوري : أتحفظ في الختان وقتاً ؟ قلت : لا . قلت : وأنت لا تحفظ فيه وقتاً ؟ قال : لا ؛ واستحب جماعة من العلماء في الرجل الكبير إذا أسلم أن يختتن ؛ بدليل ما ذكر عن يونس عن ابن شهاب قال : كان

الرجل إذا أسلم أمر بالختان وإن كان كبيراً ، وكان عطاء يقول : لا يتم إسلامه حتى يختتن وإن بلغ ثمانين سنة ، وروي عن ابن عباس وجابر بن زيد وعكرمة أن الأغلف لا تؤكل ذبيحته ولا تجوز شهادته .

وروي عن الحسن أنه كان يُرخص للشيخ الذي يسلم ألا يختتن ، ولا يرى به بأساً ولا بشهادته وذبائحته وحجه وصلاته ، وعامة أهل العلم على هذا ولا يرون بذبائحته بأساً (١) .

وفي الصحيح : استحب أن يختتن في اليوم السابع من ولادته ، وهل يحسب يوم الولادة من السبع أو يكون سبعة سواء (٢) ، ومنهم من يجعله في اليوم السادس والسابع زيادة السرة وقلقة الحشفة ، أما السرة فتقطع في أول الولادة ، وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير إلى أن ينغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال صلى الله عليه وسلم الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء (٣)

وقال سعيد: أن إبراهيم عليه السلام أول من اختتن ، وأول من أضاف ، وأول من قص الشارب ، وأول من قص الظفر ، وأول من شاب . فقال : يا رب ؛ ما هذا ؟ قال : وقار . قال : يا رب زدني وقاراً . (٤)

وينكر لنا صاحب كتاب زاد المعاد رواية عن أنس ؛ مفادها أنه يسمى لثلاثة ، وأما سمرة فقال : يسمى في اليوم السابع ، فأما الختان فقال ابن

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ج ٢١، ص ٦٠-٦٢

(٢) المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ، تحفة الأخوذى بشرح

جامع الترمذي ، دار الكتب العلمية - بيروت ج ٨، ص ٢٨

(٣) الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين دار المعرفة - بيروت

ج ١، ص ١٤٢

(٤) البخاري ، الأدب المفرد، ج ١، ص ٢٨٤

عباس : كانوا لا يختنون الغلام حتى يدرك . قال الميموني : سمعت أحمد يقول : كان الحسن يكره أن يختن الصبي يوم سابعه .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : فصار ختان إسحاق سنة في ولده وختان إسماعيل سنة في ولده وقد تقدم الخلاف في ختان النبي ﷺ متى كان (١)

كما ساق لنا صاحب كتاب تحفة المودود رواية عن ابن المنذر: في ذكر وقت الختان، فقال قد اختلفوا في وقت الختان فكرهت طائفة أن يختن الصبي يوم سابعه ، كره ذلك الحسن البصري ومالك بن أنس خلافا على اليهود .

وقال الثوري : هو خطر قال مالك والصواب في خلاف اليهود قال : وعامة ما رأيت الختان ببلدان إذا أثغر . وقال أحمد بن حنبل : لم أسمع في ذلك شيئا ، وقال الليث بن سعد: الختان للغلام ما بين السبع سنين إلى العشرة قال وقد حكى عن مكحول أو غيره أن إبراهيم خليل الرحمن ختن ابنه إسحاق لسبعة أيام وختن ابنه إسماعيل لثلاث عشرة سنة وروي عن أبي جعفر أن فاطمة كانت تختن ولدها يوم السابع (٢)

وروي عن عثمان بن أبي العاص أنه دعي إلى ختان فأبى أن يجيب وقال : إنا كنا لا نأتي الختان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا

١ الزرعي ، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله ، زاد المعاد في هدي خير العباد مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت - الكويت الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ تحقيق : شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط ج ٢، ص ٣٠٤

٢ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ١٨٤

يدعى إليه رواه الإمام أحمد وتستحب الإجابة لقوله عليه السلام : إذا دعي أحدكم فليجب عرسا كان أو غير عرس (١)

أما عند القبط فالختان في سادس بؤنة من شهور القبط ويقولون إن المسيح ختن في هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد الثاني والأربعون يعملونه في الثامن من شهر أمشير من شهور القبط ويقولون إن سمعان الكاهن دخل بعيسى عليه السلام مع أمه بعد أربعين يوما من الختان في اليوم السابع (٢) .

بدليل رواية الطبراني في الصغير من حديث جابر بسند ضعيف " أن رسول الله ﷺ عق عن الحسن والحسين وختنتهما لسبعة أيام (٣)

* الفتان في الذكور :

الختان : اسم لفعل الخائن ، وهو مصدر ، ويسمى به موضع الختن ، ومنه الحديث « إذا التقى الختانان وجب الغسل » ، ويسمى في حق الأنثى خفضا ؛ يقال ختنت الغلام خنتا وخفضت الجارية خفضا ، ويسمى في الذكر إعدارا أيضا وغير المعذور يسمى أغلف وأقلف .

وقد يقال الإعدار لهما أيضا قال في الصحاح قال أبو عبيدة عذرت الجارية والغلام أعزرها عذرا ختنتهما وكذلك أعزرتها قال والأكثر خفضت الجارية والقلفة والغرلة هي الجلدة التي تقطع .

قال وتزعم العرب أن الغلام إذا ولد في القمر فسمنت قلفته فصار كالمختون فختان الرجل هو الحرف المستدير على أسفل الحشفة وهو الذي

١ الكافي في فقه الإمام المجل أحمد بن حنبل، ج ٣، ص ٧٧ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٤، ص ٩٦ .

٢ القلقشندي ، أحمد بن علي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ تحقيق : د.يوسف علي طويل ج ٢، ص ٤٥٥

٣ تخريج لحديث الاحياء، ج ٢، ص ٦٣ .

ترتبت الأحكام على تغييبه في الفرج فيترتب عليه أكثر من ثلاثمائة حكم وقد جمعها بعضهم فبلغت أربعمائة إلا ثمانية أحكام ؛ كما يقال إن حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة بالقنوم^(١).

قال البخاري : القنوم مخففة ، وهو اسم موضع ، وقال المروزي : سئل أبو عبد الله هل ختن إبراهيم عليه السلام نفسه بقنوم قال بطرف القنوم . وقال أبو داود وعبد الله بن أحمد وحرب إنهم سألوا أحمد عن قوله اختتن بالقنوم قال هو موضع وقال غيره هو اسم للآلة واحتج بقول الشاعر .
فقلت أعيروني القنوم لعلمي ... أخط به قبراً لأبيض ماجد^(٢)

وعلى أثر ذلك أصبح الختان شعار الحنفاء في الأصل ، ولهذا أول من اختتن إمام الحنفاء وصار للختان شعار الحنيفية ، وهو مما توارثه بنو إسماعيل وبنو إسرائيل عن إبراهيم الخليل فلا يجوز موافقة عباد الصليب القلف في شعار كفرهم وتقليد^(٣)هم .

فقد سئل ابن عباس مثل من أنت حين قبض النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال أنا يومئذ مختون قال وكانوا لا يختنون الرجل حتى يدرك . وقال ابن إدريس عن أبيه عن أبي إسحق عن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قبض النبي صلى الله عليه وسلم وأنا ختني (مختون) من الختان وهو قطع قلفة الذكر وهي الجلدة التي تكون عليه حين يولد (يدرك) يبلغ . (ختني) بمعنى

١ المتقي ، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج ١٦ ، ص ٥٨٣

٢ تحفة المودود بأحكام المولود ، ج ١ ، ص ١٥٢ - ١٥٣

٣ تحفة المودود بأحكام المولود ، ج ١ ، ص ١٦٨

مختون ، وبعد الانتهاء من عملية الختان يقولون سلم الخاتن والمختون (١) . وقد شاعت هذه العبارة في العصر الإسلامي .

* الفختان في الإناء :

لما ختان المرأة فهي جلدة كعرف الديك فوق الفرج ، فإذا غابت الحشفة في الفرج حاذى ختانه ختانها فإذا تحانيا فقد التقيا^(٢) ويشرع الختان في حق النساء أيضا قال أبو عبد الله وحديث النبي ﷺ : إذا التقى الختانان وجب الغسل فيه بيان أن النساء كن يختن وحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أبقني منه شيئا إذا خففت وروى الخلال بإسناده عن شداد بن أوس قال قال النبي ﷺ : أنه قال للخافضة : أشمي ولا تنهكي فإنه أحظى للزوج وأسرى للوجه والخفض ختانة المرأة .^(٣)

وبرواية الضحاك بن قيس قال : كان بالمدينة امرأة يقال لها أم عطية تخفض الجولاري فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أم عطية إذا

١ الجامع الصحيح المختصر، ج ٥، ص ٢٣٢٠ ابن الجوزي : أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، أخبار الحمقى والمغفلين : المكتب التجاري - بيروت، ج ١، ص ١٠٥ ابن كثير ، إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ج ٩ ص ١٨٠ الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٤، ص ٢٢٣-٢٢٤ السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، فتح المغيث شرح ألفية الحديث : دار الكتب العلمية - لبنان الطبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ ، ج ٣ ص ٧٩

٢ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ١٥٢-١٥٣

٣ ابن قدامة ، عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد ، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ ج ١، ص ١٠٠

خففت خفضي : الخفض للنساء كالختان للرجال . فلا تنهكي فإنه أحظى للزوج وأسرى للزوجة^(١) .

وعن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأم عطية - ختانة كانت بالمدينة إذا خففت فأشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج^(٢) ، وقد ذكر عن نسيبة أم عطية الأنصارية أنها كانت تختن .

و الختان موضع القطع من نكر الغلام وفرج الجارية وأما في الغلام فقطع جميع الجلد التي تغطي الحشفة وفي الجارية قطع أدنى جزء من جلدة أعلى الفرج ، لا تنهكي يقال نهكت الشيء نهكا بالغت فيه من باب نفع وتعب وفي النهاية معنى لا تنهكي أي لا تبالغي في استقصاء الختان .

وفي حديث أم عطية « أشمي ولا تنهكي » شبه القطع اليسير بإشمام الرائحة والنهك المبالغة فيه ؛ أي : اقطعي بعض النواة ولا تستأصليها .

أما قوله ﷺ للخافضة أشمي ولا تنهكي أي لا تبالغي في ختان المرأة وجرى على ذلك أهل اللغة .

وقال ابن بطال النهك التأثير في الشيء وهو غير الاستئصال^(٣) . وقد ذهب إلى وجوب الختان الشافعي وجمهور أصحابه . وقال به من القدماء عطاء وعن أحمد وبعض المالكية يجب وعن أبي حنيفة واجب وليس بفرض وعنه سنة يأثم بتركه^(٤)

١ المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج٦، ص١٠٥٣

٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٥، ص٣١٢ المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال

والأفعال، ج٦، ص١٠٥٣

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج١٠، ص٣٤٧

٤ عون المعبود شرح سنن أبي داود، ج١٤، ص١٢٢-١٢٣

* احتفالات الختان :

حديث اخفوا الختان وأعلنوا النكاح له شواهد كثيرة ^(١) ، وهذا نستدل عليه من خلال الشواهد التاريخية المتناثرة في بطون المصادر الأولية وأول هذه النصوص أن عمرو قال حدثني بكيرا : أن أم علقمة أخبرته أن بنات أخي عائشة ختن فقيل لعائشة ألا ندعو لهن من يلهيهن قالت بلى فأرسلت إلى عدي فأتاهن فمرت عائشة في البيت فرأته يتغنى ويحرك رأسه طربا وكان ذا شعر كثير فقالت أف شيطان أخرجه أخرجه ^(٢)

كما ذكر عن الخليفة المقتدر انه ختن خمسة من أولاده ونثر عليهم خمسة آلاف دينار عينا ومائة ألف درهم ورقا ويقال انه بلغت النفقة في هذا الختان ستمائة ألف دينار وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام وقرقت فيهم دراهم وكسوة ^(٣) أما عادة الببو فكانوا يظهرون أفراحهم في أيام الأعياد والأعراس، وأوقات الختان، وفي مواسم الربيع، وحينما يعود رجالهم من الغزو ظافرين و بعض ما يقومون به لإظهار شعورهم رقصة الدحة .

ومن أشهر ما يجريه الببو في أفراحهم، وفي الختان خاصة (الدحة) المعروفة، ولا تقتصر على الختان وان كانت خاصة به، وإنما تراعى في

١ الشوكاتي ، محمد بن علي بن محمد ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة المكتب الإسلامي - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ تحقيق : عبد الرحمن يحيى المعطي ج١، ص ١٩٩

٢ المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ تحقيق : د. بشار عواد معروف ج٣، ص ٣٧١

ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٥٨ ج ٦، ص ١٢٧

الزواج، وفي أيام الربيع وأوقات الراحة... وهذه رقص بأوضاع خاصة،
وأصول مألوفة تقوم بها بنات القبيلة، تتقدم الواحدة تلو الأخرى، وتلعب
دورها، فتمسك سيفاً في الغالب، والمتفرجون في الجانبين... ويقال لهذه
اللاعبة (الحاشي)، وتوصف بأوصاف جميلة، فتتقدم، وهناك يجري اللعب
بكل سכיنة وهدوء... يجتمع القوم كحلقة طولانية، وتكون هي في الوسط...
وهناك كصاد (قصاد)، وبخاحة... يرددون ما نصه:

يا نعماً لك بالطيب.

أن جبت الحاشي تكوده.

يجاب من آخرين:

قول وفعل يا ولدا!

تستاهل حب النشمية!

يا هلا به يا هلا به! (اهلا به).

وقد تردد بأشكال أخرى مثل:

يا من عين لي (فلان).

صلاة محمد مثنيه.

يسمع حسك يولد.

تستاهل حب النشمية.

ومثله:

اطلع (يفلان) اطلب راسك الكصاد.

ابشر بالحاشي.

ابشر بالحاشي!

العب والعب!

ابشر بالخير ابشر!

نحي، نحي!

فإذا جاءت البنت ودخلت الدحة، قابلها الكصاد موجهاً كلامه نحو الدحاحين
ونادى قائلاً:

يا حاشينا يا بو بشيت!

على صيتك تعنيت!

فك روحك يا بالحوش!

اكلوا بالحويش اكلوه!

ويخاطبها:

كومي العبي لي والعب لج!

وكلب الجاهل يطرب لج!

العبي لي يا زينه...

ويقول أحياناً:

كوم العب لي يا بالحوش!

وحبك بالبراطم نوش!

وهكذا يمضي في أقواله، ومن ثم يحاول الدحاح الواحد، أو الدحاحة الكثيرون أن يختلس الفرصة للتقرب، أو لمس ناحية منها وهم على تباعد، وبيدها السيف تهارفهم. وغالب ما ينتهي الرقص البدوي بالزواج ، وليس فيه ألعيب وتوصلات دنيئة مما يفعله بعض السفلة " .

وهذا يجري بين أفراد الأسرة الواحدة، أو ممن بينهم ألفة، أو أفراد عشيرة، أو قبيلة واحدة .

ويظهر من خلال ما سبق أن بعض المقطوعات يغلب فيه ذكر (دح، دح...) من الدحاحة وتكرر مراراً، ومن ثم سميت بالدحة إظهاراً للوضع وحكاية للصوت الجاري الغالب تكرر فيها.. ولكل قوم وسائل لإظهار الفرح والسرور، وأوقات طرب وانس...^(١)

قال السخاوي لا أصل للأول واستحباب الوليمة له يشهد لما روي فيه من الإعلان وكذا قول سالم ختنني أبي يعني ابن عمر أنا ونعيما فذبح علينا كبشا فلقد رأيتنا وإنا لنجذل به على الصبيان أن ذبح علينا كبشا ، وبوب له البخاري في الألب المفرد بالدعوة في الختان وباللهو في الختان ونكر أحاديث تشهد للإعلان به

وروى البيهقي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه عق عن الحسين وختنهما لسبعة أيام ونقل ابن الحاج في مدخله اختصاص الإخفاء بالإناث ويشهد له المعنى والعرف ، ولكن ورد عن عائشة رضي الله عنها إظهاره فيهن أيضاً .^(٢)

(١) - العزاوي، عباس، عشائر العراق، ج١، ص٩٦

(٢) - كشف الخفاء، ج١، ص٦٩

* طعام الختان :

أمّا طعام الختان فقد ذكر في أبواب الوليمة من كتاب النكاح مشروعية الدعوة في الختان وما أخرجه أحمد من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص أنه دعي إلى ختان فقال ما كنا نأتي الختان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا ندعى له وأخرجه أبو الشيخ أبو عبد الله بن الحاج من رواية فبين أنه كان ختان جارية وقد نقل الشيخ في المدخل أن السنة إظهار ختان الذكر وإخفاء ختان الأنثى .^(١) وفي رواية الطبراني قال : دعي عثمان بن أبي العاص إلى طعام فقيل له : هل تدري ما هذا ؟ هذا ختان جارية فقال : هذا شيء ما كنا نراه على عهد رسول الله ﷺ . فأبى أن يأكل^(٢)

وعن عمر بن حمزة قال أخبرني سالم قال : ختنتي بن عمر أنا ونعيماء فذبح علينا كبشاً فلقد رأيتنا وإنا لنجدل به على الصبيان أن ذبح عنا كبشاً^(٣) ، كما عرف طعام الختان (إغذار) بدليل ما روى عن نافع قال كان ابن عمر يطعم على ختان الصبيان^(٤) وطعام الختان (إغذار) أو الغديرة^(٥)

(١) - فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٣٤٢-٣٤٣

٢ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج ٤، ص ٩٦

(٣) البخاري، الأدب المفرد، ج ١، ص ٤٢٦

(٤) ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الاستنكار دار الكتب العلمية -

بيروت الطبعة الأولى . ١٤٢١ - ٢٠٠٠ تحقيق : سالم محمد عطا ، محمد علي

معوض ج ٥، ص ٥٣٢

(٥) الزرعى ، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله ، تحفة المودود بأحكام المولود مكتبة

دار البيان - دمشق الطبعة الأولى ، ١٣٩١ - ١٩٧١ تحقيق : عبد القادر

الأرنؤوط ج ١، ص ٧٦ الدر المنثور، ج ١، ص ٢٨٠ الدينوري، أبو محمد عبد الله بن

مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي ، أدب الكاتب ، المكتبة التجارية - مصر الطبعة

الرابعة ، ١٩٦٣ تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ج ١، ص ١٣٦

* من ولد مختونا :

قالت عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً قلت يا رسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض (غرلاً) معناه غير مختونين جمع أغرل وهو الذي لم يختن وبقيت معه غرلته وهي قلفته وهي الجلد التي تقطع في الختان والمقصود أنهم يحشرون كما خلقوا لا شيء معهم ولا يفقد منهم شيء حتى الغرلة تكون معهم^(١) .

وتؤكد الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم ولداً مختونين، والسبيل في مثل هذا الرجوع إلى الرواية الصحيحة، والأثر القائم. وقد جاءت الكثير من الروايات التاريخية المختلفة بهذا الصدد أحدها أنه ولد مختونا والثاني أن جبريل خنته حين شق صدره . والثالث أن جده عبد المطلب خنته على عادة العرب في ختان أولادهم ونحن نذكر قائلتي هذه الأقوال وحججهم فأما من قال: ولد مختوناً فاحتجوا بأحاديث أحدها: ما رواه أبو عمر بن عبد البر فقال: وقد روي أن النبي ولد مختوناً من حديث عبد الله بن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب قال: ولد رسول الله مختوناً

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، المزهري في علوم اللغة وأنواعها دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨ تحقيق : فؤاد علي منصور ج١، ص٣٤٥

(١) صحيح مسلم، ج٤، ص٢١٩٤ النووي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ ج١٧، ص١٩٣

مسروراً يعني مقطوع السرة فأعجب ذلك جده عبد المطلب وقال ليكونن لابني هذا شأن عظيم (١).

وقليل من الناس يولد غير محتاج إلى الختان وهذا نستدل عليه من رواية أبو الغنائم النسابة الزيدي أن أباه القاضي أبا محمد الحسن ابن محمد بن الحسن الزيدي ولد غير محتاج إلى الختان قال : ولهذا لقب بالمطهر قال : وقال فيما قرأته بخطه خلق أبو محمد الحسن مطهراً لم يختن ، وتوفي كما خلق وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن من ولد كذلك لا يختن واستحسن بعضهم أن مرور موسى على موضع الختان ختان (٢) .

وتزعم العرب أن الغلام إذا ولد في القمر فسخت قلفته أي اتسعت فصار كالمختون وقد استحَب العلماء من الشافعية فيمن ولد مختوناً أن يمر بالموسى على موضع الختان من غير قطع قال أبو شامة وغالب من يولد كذلك لا يكون ختانه تاماً بل يظهر طرف الحشفة فإن كان كذلك وجب تكميله وقال في حق المرأة كذلك ، ومن لا فلا ، وقد ذهب إلى وجوب الختان دون باقي الخصال الخمس المذكورة (٣) .

* أثر الختان في اللذة :

أما عن اثر الختان في اللذة أو الشهوة فهناك الكثير من الأحاديث التي ينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة فقال صلى الله عليه وسلم لأم عطية

١ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ٢٠١

٢ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ٢٠٤

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٣٤٠

وكانت تخفض يا أم عطية أشمي ولا تنهكي فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج (١).

وروى أبو داود عن أم عطية أن رسول الله أمر ختانة تختن فقال: إذا خنتت فلا تنهكي فإن ذلك أحظى للمرأة وأحب للبعل ومعنى هذا أن الخافضة إذا استأصلت جلدة الختان ضعفت شهوة المرأة فقلّت حظوتها عند زوجها ، كما أنها إذا تركتها كما هي لم تأخذ منها شيئاً ازدادت شهوتها، فإذا أخذت منها وأبقت كان في ذلك تعديلاً للخلفة والشهوة ، هذا مع أنه لا ينكر أن يكون قطع هذه الجلدة علماً على العبودية (٢)

وتفسير ذلك رواية الإمام الرازي : حين قال إن الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوي اللذة عند المباشرة وإذا قطعت صلبت الحشفة فضعفت اللذة وهو اللائق بشرعنا تقليلاً للذة لا قطعاً لها توسطاً بين الإفراط والتفريط .

فائدة قال السهيلي : أول امرأة خففت من النساء وثقت أذانها وجرت ذيلها هاجر وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في النساء (٣).

ثم زاد قائلا: والبطراء تجد من اللذة ما لا تجده المختونة، فإن كانت مستأصلة مستوعبة كان على قدر ذلك، وأصل ختان النساء لم يُحاول به الحسن دون التماس نقصان الشهوة، فيكون العفاف عليهن مقصوراً. ولذلك

١ الغزالي ، إحياء علوم ، ج ١، ص ١٤٢

٢ تحفة المودود بأحكام المولود، ج ١، ص ١٨٩

٣ فيض القدير، ج ٣، ص ٥٠٣

قال النبي ﷺ للخاتنة: يا أم عطية أسمىه ولا تنهكيه، فإنه أسرى للوجه، وأحظى عند البعل، كأنه أراد ﷺ أن ينقص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال؛ فإن شهوتها إذا قلت ذهب التمتع، ونقص حب الأزواج، وحب الزوج قيّد دون الفجور. (١)

وأن نساء الهند والروم وفارس إنما صار الزنا وطلب الرجال فيهنّ أعم، لأنّ شهوتهنّ للرجال أكثر، ولذلك اتخذ الهند دوراً للزواني، قالوا: وليس لذلك علّة إلّا وفارة البظر والقلفة. والهند توافق العرب في كل شيء إلّا في ختان النساء والرجال، ودعاهم إلى ذلك تعمّقهم في توفير حظ الباه، قالوا: ولذلك اتخذوا الألوية، وكتبوا في صناعة الباه كتباً ونرّسوها الأولاد. (٢)

١ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج ١، ص ٣٠٣

٢ الجاحظ، الحيوان، ج ٢، ص ١٠٩ الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ج ١، ص ٣٠٣

الخاتمة

**الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات والصلاة والسلام على رسول الله
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وبعد.**

بعد هذه الرحلة في كتب التراث فقد تبين لنا أن الختان ظاهرة قديمة تعود إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام فهو أول من سن الختان ، والختان من سنن الفطرة وإن شعوب الأرض من اليهود والنصارى والمسلمين والديانات الأخرى منهم من صادف الفطرة فاختنن ومنهم من انحرف عن الفطرة ولم يختنن كما أن من أصحاب الديانات من حرف الختان عن طبيعته فرأى أن الختان للقلوب وليس للحشفة كما تبين أن هناك من لا يفضل الختان وهم الذين يحبون توفر الشهوة عند المرأة ولم نجد أفضل من الإسلام الذي فرق بين ختان الرجل وختان المرأة بأنه واجب للرجل مكرمة للنساء كما أوصى الخافضة ألا تجور في الخفض.

ومع هذا فأنتني وإن تمكنت من رصد ظاهرة تاريخيا فاني اعترف بالعجز والقصور في تتبع تاريخ هذه الظاهرة الحميدة التي وافقت سنن الفطرة وذلك لضعف المراجع التاريخية التي رصدت هذه الظاهرة فإن أك وفقت فيما كتبت عن هذه الظاهرة فبفضل الله وحده وإن لم أك وفقت فحسبي أنني اجتهدت ولن اترك قولاً قيل في هذه الظاهرة إلا وسأبحث عنه في قابل أيامي إن شاء الله.

وبعد فإن وفقت فمن الله وحده فهو صاحب الفضل في الأولى والآخرة وإن كان غير ذلك فمن الشيطان ومني والله ورسوله منه براء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

د/ خالد الجبالي

غرة ربيع الأول ١٤٣٠هـ

- قائمة المصادر والمراجع العربية -

القرآن الكريم:

- الألويسي ، محمود أبو الفضل ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج ١.
- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، ج ١.
- الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، مناظرة بين الإسلام والنصرانية، الطبعة الأولى تاريخ النشر : ١٤٠٧هـ - ج ١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الأدب المفرد، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ، الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩ - ٩٨٩ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ج ١.
- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، دار ابن كثير ، اليمامة ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ - ٩٨٧ تحقيق : د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة ، جامعة دمشق ج ١.
- البغوي، حسين بن مسعود الفراء أبو محمد معالم التنزيل ، ج ١.
- الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر، الحيوان ، القاهرة، ج ٢.
- ابن الجوزي ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بزاد المسير في علم التفسير المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٤ ج ١.
- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم دار صادر ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٣٥٨ ج ٦.
- ابن حنبل ، أحمد أبو عبد الله الشيباني ، مسند الإمام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة ، القاهرة ج ٥،

- الدار قطني ،علي بن عمر بن أحمد بن مهدي أبو الحسن البغدادي،
العلل الواردة في الأحاديث النبوية دار طيبة ، الرياض الطبعة الأولى
، ١٤٠٥ - ١٩٨٥ تحقيق : د. محفوظ الرحمن زين الله السلفي ج٨
- أبي داود محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب ،عون المعبود
شرح سنن أبي داود دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الثانية ،
١٤١٥ ج١١.
- أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، سنن أبي داود دار
الفكر تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ج١.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي ،أدب
الكاتب ،المكتبة التجارية - مصر الطبعة الرابعة ، ١٩٦٣ تحقيق :
محمد محيي الدين عبد الحميد ج١.
- الزرعي ، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله عزاد المعاد في هدي
خير العباد مؤسسة الرسالة ، مكتبة المنار الإسلامية - بيروت ،
الكويت الطبعة الرابعة عشر ، ١٤٠٧ - ١٩٨٦ تحقيق : شعيب
الأرنؤوط ، عبد القادر الأرناؤوط ج٢.
- الزرعي ، محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله ،تحفة المودود بأحكام
المولود مكتبة دار البيان ،دمشق الطبعة الأولى ، ١٣٩١ - ١٩٧١
تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط ج١.
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ،المزهر في علوم
اللغة وأنواعها دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى ، ١٩٩٨
تحقيق : فؤاد علي منصور ج١.

• ابن سعد ، محمد بن منيع أبو عبد الله البصري الزمري ، الطبقات الكبرى دار صادر ، بيروت ج ٥.

• السيوطي ، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين ، الدر المنثور دار الفكر - بيروت ، ١٩٩٣ ج ١.

• الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعية المكتبة الإسلامية - بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٧ تحقيق: عبد الرحمن يحيى المعلمي ج ١.

• الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منقلى الأخبار ، إدارة الطباعة المنيرية، ج ١.

• الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد ، الملل والنحل دار المعرفة - بيروت ، ١٤٠٤ تحقيق : محمد سيد كيلاني ج ٢.

• الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، المعجم الكبير مكتبة العلوم والحكم ، الموصل الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ٧.

• الطبراني ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم ، مسند الشاميين مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ - ١٩٨٤ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ٤.

• الطبراني ، سليمان بن أحمد أبو القاسم ، الأحاديث الطوال مطبعة الأمة - بغداد الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ - ١٩٨٣ تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي ج ١.

• العسقلاني ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، ١٣٧٩ تحقيق : أحمد بن علي بن حجر أبو

• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧ تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير البكري ج٢١

• ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري، الاستنكار دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠ تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض ج٥.

• ابن عساكر، الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها، دراسة وتحقيق علي شيريدار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج٢.

• العزاوي، عباس، عشائر العراق، بغداد، ج١.

• الغزالي، محمد بن محمد أبو حامد، إحياء علوم الدين دار المعرفة - بيروت ج١.

• ابن قدامة، عبد الله المقدسي أبو محمد، الكافي في فقه الإمام المجلد أحمد بن حنبل ج١.

• ابن قدامة، عبد الله بن أحمد المقدسي أبو محمد، المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني دار الفكر - بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٥ ج١.

• القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الجامع لأحكام القرآن ج٢، ص ٩٣

• القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح أبو عبد الله، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام دار التراث العربي - القاهرة، ١٣٩٨ تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ج١.

- القزويني ، محمد بن يزيد أبو عبد الله، سنن ابن ماجه تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر ، بيروت ج ١.
- القلقشندي ، أحمد بن علي ،صبح الأعشى في صناعة الإنشا دار الفكر - دمشق الطبعة الأولى ، ١٩٨٧ تحقيق : د.يوسف علي طويل ج ٢.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط محمد بن يعقوب ج ١.
- الكافي في فقه الإمام المبجل أحمد بن حنبل، ج ٣.
- المزي يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج، تهذيب الكمال مؤسسة الرسالة ، بيروت الطبعة الأولى ، ١٤٠٠ - ١٩٨٠ تحقيق : د. بشار عواد معروف ج ٣٥.
- مسلم ، ابن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي ، بيروت ج ١.
- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ج ١.
- ابن منظور لسان العرب محمد بن مكرم الأفيقي المصري دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ، ج ٦.
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى ، مصر الطبعة الأولى ، ١٣٥٦ ج ٣.
- بن منده محمد بن إسحاق بن يحيى ،الإيمان مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ تحقيق : د. علي بن محمد بن ناصر الفقيهي ج ١.
- المباركفوري، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ،تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ،دار الكتب العلمية - بيروت ج ٨.
- المتقي ، علي بن حسام الدين الهندي ،كنز العمال في سنن الأفعال والأفعال مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٩ م ج ٦.
- المباركفوري ، محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم أبو العلا ، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية ،بيروت ج ١.

- النوي ، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري ، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج دار إحياء التراث العربي - بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٢ ج ١٧.
- الواحدي ، علي بن أحمد أبو الحسن ، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ١.



